

الصهيوني

وصف الكاتب الروسي الشهير مكسيم غوركي امة اليهود بأنها صيف ذهبي مشهر على رأس أوروبا (مهد المسيحية) ويسهل للمطلع على تاريخ اليهود الوقوف على مبلغ الاضطهادات المريعة التي لاقاها أولئك المساكين حين كانت أوصالهم ترتجف كل يوم من الهلع قديماً ، وهم لا يزالون حتى الوقت الحاضر ، مضطهدين في بعض أنحاء أوروبا ، حامية حتى المدنية ، اضطهاداً مرعباً يومهم العصر وصمة غير مشرفة لو أمكن للتأريء تصور حال هذه الامة وهي تتحمل الضربات الحالية صابرة على الضيم مجتدة في العمل لاجل لم شعنها وتوحيد صفوفها لتكون كما يجب أن تكون أمة لها مكان تحت الشمس ، لا شك لا يملك من التصفيق بكلمات يديه تشجيعاً لما للمضي في طريق تحرير نفسها من طغيان المتعصبين ضد السامية وانك وانت تقاب صفحات التاريخ القديم والجديد لا تملك نفسك من الاعجاب عند ما تقرأ أسماء يوسفوس وغيره من المتقدمين وماركس وماكس ترودو وذر رائيلى واينشتين وبرغسون وغيرهم من المتأخرين ، خصوصاً متى وقفت على مبلغ الدور الهام الذي لعبه كل منهم على مسرح هذا العالم . وكانت ادوارهم أدوار بطولية حقه فخرهم فيها يزيد كثيراً عن نصيب غيرهم منه ، لأنهم تغلبوا على الصعاب التي تصادق كل الابطال ، وزيادة على ذلك فنتبهم زالوا صعوبات أقامها البعض في طريقهم عبداً وبسوء قصد .

ويجب أن لا ننسى مطلقاً باننا كشرقيين ابناء عمومة اليهود ، وإيس هذا فقط بل نحن وإياهم شقيقان نجمعنا الدوحة السامية ويجب أن لا يغفل المسلمون أن اليهود هم أساتذتهم ، وهم أكثر الناس تأثيراً في تأسيس ما يسمونها المدنية الاسلامية .

فكر اليهود كثيراً في موقفهم كامة من واجبها الدفاع عن كيانتها وبعد محاولات كثيرة توصل عقلاؤهم بوجوب تعيين مكان ليعتبرونه وطناً قومياً لهم فانتخبوا بقاع كثيرة كالأرجنتين وشاطى إفريقيا الغربية وفلسطين ولكن أخفقت جميع التجارب الا في فلسطين (أرض الميعاد) حيث أمكن لزعمائهم اقناع سواد اليهود بسهولة على وجوب الرحيل مستندين على نظريات شتى قائمة على اعتقاد الامة اليهودية

أن البعث والنشور سيقعان في الأرض المقدسة ، فلا يلاقى الذي دفن فيها مشقة للوصول إليها في حين أن المدفون بعيدا عنها سيضطر إلى حفر نفق في باطن الأرض يوصله إلى أرض الميعاد ويكون ذلك بعد قيام الساعة لاعتقادهم أيضا بأن المسيح سيهبط من السماء في طبريا على قول وفي صند على قول آخر أوفى محال أخرى جميعها في فلسطين المقدسة. هذا مع ملاحظة أن اليهود لا يسمون بمسيح النصرانية بل هم المسيح الموعودون به منتظرون، ويجب أن لا ننسى أن كتبهم المقدسة تحت على الانتظار في أرض الميعاد وتطلب من الله تمهيد السبيل إلى أورشليم في مملكة داود هذا سبب مهم لاتفاق زعماء اليهود على فلسطين دون غيرها لتكون وطننا قوميا لهم . وأما السبب الآخر فهو حسن معاملة المسلمين لهم خصوصا وأن اضطهاد محاكم التفتيش الذي كان موجها إليهم وإلى المسلمين معا نتج عنه لسحاب الشعبان خارج أرض اللاندلس فتمكن اليهود من التنقل في بلاد المسلمين إلى حيث شاءوا فاستقر بعضهم في أرض (موآب) المآب، وقاموا بشعائرهم دون خطر، وكذلك وقعت بهد ذلك خلال القرن التاسع عشر مذبح في روسيا فلم يكن لأولئك الساكنين من مفر إلا الاتجاء إلى أقرب بلد أمين فتخطوا الحدود إلى الأراضي العثمانية ومن هناك قصدوا أرضهم المقدسة للإقامة فيها

مما سبق يتضح لكل منصف أن الصدفة دخل كبير في استقرار رأي اليهود لاتخاذ فلسطين دون غيرها مركزا ينشئون فيه وحدتهم السياسية الاجتماعية كما وأن للتعالم الدينية تأثير مماثل في هذا الاختيار

وأنشئت الجمعيات لا يواء أولئك المشردين، فكانت أول مستعمرة منظمة هي ريشون لي زيون Richon Le Zion للمهاجرين الروس وقد أصبحت الآن مركزا مهما، وألف يهود رومانيا بعد ذلك جمعية أخرى أنست مستعمرة «زمارين» وتابعت الجمعيات المختلفة بعد ذلك تأسيس المستعمرات دون أن تربطها رابطة إلى أن ظهر للمثريين من اليهود نجاح الم شروع فوحدت الجهود وأنشأوا مع مفكر يهود حكماؤهم جمعية مركزية للإشراف على حركة الاستيطان في فلسطين وأنتم هذه الجمعية

«جمعية الاستعمار اليهودية» Jewish Colonising Association

ولفظة الصهيونية مشتقة من جبل صهيون القائمة على سفحه مديسة القدس
ولفكرة الصهيونية رجال يجب أن لا تنقل دن ذ كر «هرتزل» منهم وهو العالم اليهودي
الالماني الذي تفرغ للدعوة الى الحركة المذكورة وبلغ رسالته في كتابه «الحكومة
اليهودية» وهو انجيل الصهيوينين الى الوقت الحاضر، والصهيونية نظام اجتماعي
Communistic (ويعر به البعض نظام اشتراكي واعتقد ان تعريبي اوفى . ولو انه
اكثر ايهاما من التعريب الاخير) يرمى الى التجديد ومتابعة النظريات المصرية
والعمل على تكوين مدينة يهودية قحة جديدة واحياء اللغة العبرية وخلق (وهذه
اللفظة خير من قولنا واحياء) ثقافة يهودية جديدة وكان قد سبق هرتزل يهودي آخر
حاول الترويج لفكرة وجوب اندماج اليهود في العناصر التي يعيشون بينها فاليهودي
المقيم في بريطانيا يجب أن يكون بريطانيا والذي في فرنسا فرنسيا اه فسفدت تعاليم
الرسول الجديد ماراه مندلسوهن صاحب نظرية العناصر، وهكذا لم يعد لمندلسوهن
أنصار يعتقد بهم في الوقت الحاضر .

واذا سألت عن نظام المستعمرة الصهيونية فاعلم انك تجده نموذجاً راقياً للحياة .
فلكل عائلة منزل صحي مضاء بالكهرباء مجلوب اليه الماء يختلف حجمه باختلاف
الثروة ولكن لا ينعدم التجانس كلفة بينه وبين سواه كما هو الحال في الامكنة الاخرى
فانك ترى مثلاً بيتاً يحوى أربعة حجرات عبارة عن طابق واحد تحيط به حديقة
صغيرة قائماً بجوار قصر لمتر يتكون من طابقين لا تزيد عدد غرفه عن العشر
تلتف من حوله حديقة . متوسطة السعة لا يزيد الاعتناء بها عما تناله حديقة المنزل
الآخر وكل الابنية نظيفة يتفاوت أثاثها من حيث القيمة وليس من حيث الاستعداد
ويخصص اصحاب المهن إحدى الغرف بمنازلهم لمزاولة مهنتهم فيها وانك لتجد
اسم صاحب ورشة النجارة معلقاً على باب منزله فاذا القيمة نظرة الى الداخل ترى ان
منهم من كان في عمله بهدوء ونشاط . وأما الفلاح فيحتفظ بغرفة يؤوى فيها ماشيته
ويحفظ فيها آلاته . فاذا ما سرت في الطريق مبكراً في الصباح تجد ان الملائق يخرجون
ازواجا وجماعات الى الحقول وهم يقودون مواشيهم معهم وخالقها أو على ظهورها
الآلات الزراعية الحديثة وترى الرجال والنساء . وهنا يجب أن أقول الشبان

والشابات لانك قلما تعترف في طريقك على كهول وذلك ناتج من تقييد المهاجرة بعدد مخصوص ولذلك يفد الى فلسطين صفار السن أقوياء البنية من اليهود فقط ، لا بسين ملابس العمل بيضاء نظيفة متوجهين الى مزارعهم وأما الاطفال فيركضون الى معاهد العلم لان التعليم من الواجبات عندهم ، حتى انك لا تجد بينهم يهوديا غير ما بالقراءة والكتابة فإذا ما قاربت الشمس من المغرب استبدل الكل ثياب العمل ليقصد بعضهم النوادي والبعض المدارس اليلية والبعض قاعة المحاضرات و بعد الغروب يستنشقون النسيم العليل في المتنزهات ثم يستسلمون بعد العشاء لسلطان النوم

وحقيقة انك لا تهالك من الشعور بالسرور وبالراحة وأنت تقضي وقتك في هذا الوسط الراقى خصوصا متى علمت انهم يقضون منازعاتهم دون التجاء الى الحكومة قدر الامكان ولهم نظام لنقل البريد

وهنا يجب أن أذكر شيئا عن نتائج المهاجرة اليهودية الى فلسطين وما تسببت عنه من شقاق بين « العرب » و « اليهود »

ذهبت محاولات اليهود لاخذ موافقة الدولة العثمانية على فكرة الوطن القوي هباء، وذلك قبل وقوع الحرب العظمى، فلما توغلت أور وبا في الحرب واصبحت في حاجة الى المال لمدادمتها، اظهر كبار المالىين من اليهود سبائكم الصفراء لدول الوسط مشترطين الاعتراف بالوطن القوي . فسعت ألمانيا والنمسا وبلغاريا جهدها لاقتناع تركيا للاعتراف بذلك، فابت خوفًا من انتفاض العالم الاسلامي عليها . ولما خاب أمل اليهود وجهوا جهدهم صوب المؤتلفين فغازوا بعهد « بلفور » وهكذا كان من أهم أسباب انكار دول الوسط امساك اليهود عن امدادهم بالمال واليس من الغريب ان ألمانيا عقدت عدة قروض داخلية في ابتداء الحرب فكان كل منها يغطي عشر مرات أو أكثر في مدة يسيرة ولم تكن قد ثبتت اقدمها وظهرت بمظهر القوى القادر بعد ؟ ثم انقلب الحال بعد ذلك فاصبحت تفرض الاكتتاب فرضا حين كانت جيوشها قد اكتسحت روسيا وغزت بلجيكا ومنطقة غير صغيرة في فرنسا وردت ايطاليا الى ما بعد حدودها ؟

فلما وضعت الحرب أوزارها وقبض البريطانيون على دفعة الحكم في فلسطين ندموا على الوعد الذي قطعوه فأشعلوا في العرب روح العداء للصهيونية فهب أولئك متحمسين لدفع غارة المهاجرين وحدث بين الطرفين ما يؤسف له . وكان للعرب دافع الى ذلك ، فإن نشاط اليهود كان على أشده فبدلوا الجهد لتوريد أقصى ما يمكن توريد من المهاجرين ومن المال وتمننوا في شراء العقارات ببخس الثمن فصرخوا بالتجارة المحلية ضربة قاضية إذ باعوا بأسعار مخفضة جدا ما كانوا يشترونه من السوق المحلي بأثمان عالية وهكذا استحلوا ممالكهم التي يربطها شيطان

وحاولوا أيضا السيطرة على المصالح ثم عدلوا على استبدال العرب باليهود حتى لا يتركهم حالة شائبة مدة طويلة الى أن ينظمو شؤونهم . فعملت الجبال سرا جنبا الى جنب مع العرب للرد على هذا الوباء . وقد تخرجت الحال لدرجة أنها كانت تستورد الأسلحة من الخارج سرا لليهود الذين كانوا يمفرون الخنادق حول خيامهم ويمزقونها بالمتاريس عليهم بأن السلاح كان يوزع على العرب بلا ثمن وبكثرة وتدارك الأمر العقلاء فقتل اليهود من غلوائهم وحدث إن خففت العقبات التي صادفوها من اندفاعهم ، فعند ما شعر العرب بتحسين الحال عادوا الى استكانتهم . وأما بريطانيا فقد شطت الميدان بمحنة من رمد والآل يكاد الاستقرار يلزم الحالة لولا ما يقع بين وقت وآخر من الاحتكاك ، واغلبه غير متعمد ، وفي بعض الاوقات يحاول بعض المغرضين تحريك النار الحادثة لاشعالها قصد جر المغرم لانفسهم .

وهنا يجب ان أتساءل « هل سيفلح اليهود في « صهيئة » العرب — وربما الشرق العربي كله — أم سيطردهم العرب من فلسطين ؟ »

أما أنا فاعتقد أننا سنكون تلامذة اليهود كما تعلمنا لهم سابقا وقد بنيت حكمي هذا على أنهم اغنياء متعاونون نشيطون ، ونحن فقراء جهلة متواكلون ، ومع وجوب ملاحظة أننا فرعى أرومة واحدة وتكاد شقايتنا تكون متماثلة ، فليس من الصعب علينا الاقتداء بهم في كل ما سيفعلونه